مقال مراجعة موضوع
البديع في ضوء النقد العربي القديم

م.م. مروة أحمد شاكر غضيب
كلية التربية ابن رشد للعلوم الانسانية
جامعة بغداد

الكلمات المفتاحية: علم البديع، محسنات الكلام، النقد العربي القديم

الملخص:

إن علم البديع يعنى بدراسة جماليات ومحسنات الكلام مع مراعاة مقتضى الحال ووضوح الدلالة والبعد عن الغموض، ويكون نهاية الحسن والجودة في حالة وروده عفو الخاطر دون تصنع أو تكلف، وقد حظيّ بعناية النقاد العرب القدامى بداية من الجاحظ وصولا الى قرون متأخرة من الدراسات النقدية، ويتفق النقاد العرب القدامى على أن (البديع) عُرف قديما عند الشعراء، وفي القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة إلا أن المحدثين أُصيبوا بشغف البديع فكثُر في اشعارهم حتى نُسب إليهم. وفي أول الامر كان النقاد يذكرون بعضا من فنون البيان كالاستعارة والكناية مع البديع؛ وذلك يعود إلى أن علوم البلاغة (البيان، والمعاني، والبديع) لم تكن قد قسمت بعد وأن الحدود بينها لم تكن قد توضحت كما هو الحال في الدراسات النقدية ما بعد القرن الرابع الهجري، وقد توقفت الباحثة لغاية القرن الخامس الهجري وهو ما يسمح به المقام؛ وذلك لان الحديث يطول مع جهود نقادنا العرب القدامى وكثرة تقسيماتهم وتفريعاتهم لعلم البديع، وذلك لتوجه الشعراء نحو الصنعة وزخرفة الكلام حتى تجاوزت تقسيمات البديع المائة محسن بديعي.

إن البديع قد جاء عند نقادنا العرب القدامى كل حسب منظوره وتصنيفه بداية مع العالم الموسوعي الجاحظ (ت٢٥٥هـ) والذي ذهب الى أن البديع مقصور على العرب وبه انمازت لغتهم عمن سواها من اللغات وذلك يعد كشفا يحسب للجاحظ، ذاكرا إن رواة الشعر اطلقوا عليه (البديع) كما عدّ الراعي وبشارا والعتابي من أصحاب البديع ولم يقدم الجاحظ مفهوما عن هذا المصطلح بل اكتفى بالإشارة الى اصحاب البديع.

ويعد الخليفة العباسي أبي العباس عبد الله بن المعتز (ت٢٩٦هـ) الرائد وصاحب السبق إلى هذا الفن وألف كتابا تحت هذا المسمى(كتاب البديع) إذ يصرح في كتابه بإنه لم يسبقه اليه احد ، وبهذا يحرز لنفسه السبق الى هذا الفن من فنون البلاغة وغاية ابن المعتز في مؤلفه ان يثبت أن(البديع) قديم في القرآن الكريم واللغة واحاديث الرسول وكلام الصحابة واشعار المتقدمين إلا أن المحدثين من الشعراء امثال بشار بن برد ومسلم بن الوليد وابي نواس وغيرهم قد اكثروا من توظيفه حتى عرف على زمانهم واكتسب هذه التسمية، ويقدم ابن المعتز حدا لفن البديع بعده اسم وضع لفنون من الشعر يذكرها الشعراء ونقاد المتأدبين منهم ، وقد جعل البديع في خمسة أبواب:(الاستعارة والتجنيس والمطابقة ورد العجز على الصدر والمذهب الكلامي)، وبهذا فقد عدّ الاستعارة من ابواب البديع لما لها من فضل جمالي تضفيه على النص الادبي وليثبت قدم فن البديع استشهد بأمثلة عدة من القران الكريم والاحاديث الشريفة واقوال الائمة فضلا عن اشعار العرب المتقدمين، إذ يستشهد في باب (الاستعارة) بقوله تعالى **((واشتعل الرأسُ شيبًا))(مريم/4)** وهو من الاستعارة المكنية إذ استعار لفظة (الاشتعال) لغير ما وضعت له في الاصل، وجعلها سبحانه مثالا لتفشي الشيب في الرأس كاشتعال النار في الحطب، أما في باب (التجنيس) فقد استشهد بقول امرئ القيس:

لقد طَمَحَ الطّماحُ من بُعد ارضه ليلبسني من دائه ما تَلبّسا

فموضع الشاهد (طَمَحَ الطّماح) فطَمَحَ في لسان العرب رمى به إلى شيء، والطّماح هو رجل من بني أسد ارسله (قيصر) الى امرئ القيس بثوبه المسموم، وهو جناس اشتقاق أي أن اللفظين مشتقان من جذر لغوي واحد.

ومن الامثلة الشعرية في باب (المطابقة) قول امرئ القيس:

مِكَرٍ مِفَرٍ مُقبلٍ مُدبرٍ معا كجلمودِ صخرٍ حطه السيل من عَلِ

فغاية الجمال حين اردف امرؤ القيس طباقه في كلمة(معا).

ويضيف ابن المعتز على ابواب البديع طائفة من محاسن الكلام والشعر(الالتفات، والرجوع، وحسن الخروج، وتأكيد المدح بما يشبه الذم، وتأكيد الذم بما يشبه المدح، تجاهل العارف، الهزل يراد به الجد، حسن التضمين، التعريض والكناية، الافراط في الصفة، حسن التشبيه، لزوم ما لايلزم، حسن الابتداء، التورية، الاعتراض)، وقد استشهد على كل محسن

كلامي بطائفة من اشعار العرب، وفي ذلك دلالة واضحة على سعة الخزين المعرفي والثقافي للناقد بأشعار العرب المتقدمين، وذهب ابن المعتز الى أن هذا الفن كان يرد عفو الخاطر عند الشعراء القدماء في بيت واحد أو بيتين أو قد يخلو شعرهم من البديع كما يستحسن أن يأتي نادرا وذلك يمثل موقف ابن المعتز من البديع. فموضع الاستحسان عنده أن يأتي دون تكلف أو تصنع من قبل الشاعر.

وفي القرن الرابع الهجري يطالعنا الناقد البصري قدامة بن جعفر(ت337هـ) والمتأثر بالفكر الفلسفي في كتابه (نقد الشعر) ونظرته للبديع مستقاة من حده للشعر بعده قول موزون مقفى يدل على معنى، وأن الشعر صناعة وعلى الصانع(الشاعر) أن يصل غاية الجودة والكمال في صنعته ومحسناته الفنية، إذ يضع امام المبدع نعوتا يتوخى تطبيقها على عناصر الشعر وهي (نعت اللفظ، ونعت الوزن، ونعت القوافي، ونعت المعنى)، وقد أورد في كل نعت طائفة من المحسنات البديعية:

- نعت الوزن (الترصيع)
- نعت القوافي (التصريع)
- نعوت المعاني الشعرية :(صحة التقسم وصحة المقابلة وصحة التفسير والتتميم والمبالغة والتكافؤ والالتفات)
- نعوت ائتلاف اللفظ مع المعنى: (المساواة والاشارة والارداف والتمثيل والمطابق والمجانس)
- نعت ائتلاف القافية والمعنى: (التوشيح والايغال)

وقد انفرد قدامة بن جعفر بتسعة من المحسنات البديعية وهي (الترصيع والغلو وصحة التقسيم وصحة المقابلة وصحة التفسير والاشارة والارداف والتمثيل والايغال).

ولأبي علي الحاتمي (ت388هـ) الناقد والاديب رؤيته في مجال (البديع) في كتابه(حلية المحاضرة في صناعة الشعر وانواعه) والذي اشتمل على موضوعات تتعلق بالشعر والبديع والنقد، ويعدد اصناف البديع بعد أن يصف العرب بأرباب الكلام وهو عنده: "الجناس، والطباق، والاستعارة، والاشارة، والوحي، والتشبيه، والاستثناء، والمظافرة والتبليغ، والترديد، والتصدير، والتتميم، والتسميط، والتسهيم والتقسيم، والتبين والترصيع، والتلميح، والتلويح، والتوشيح والموازنة، والمقابلة، والاستطراد ، والتكافؤ، والمبالغة، والالتفات، والمماثلة والمساواة، والايهام، وأبدع حشو، والاغراق واحسن ابتداء، وألطف بيت، والقوافي المتمكنة، وأحكم بيت

على ثلاثة أمثال، أو مثلين"، ومن تحديد الحاتمي لفنون البديع قد جعل تضمين الابيات الشعرية بالأمثال جزءا من فنون البديع واستشهد ببيت شعري لزهير بن أبي سلمى:

وفي الحلم إدهانٌ وفي العفو دُربةٌ وفي الصدقِ مَنجاةٌ منَ الشّرِ، فاصدُقِ

ويذكر الحاتمي إن البيت الشعري اشتمل على ثلاثة أمثال شعرية كل منها سائرٌ وقائمٌ بنفسه ولم يكتمل معنى البيت إلا في قول الشاعر (من الشر فاصدُق) فازداد المعنى تماما، أي أن هذه الامثال يستدعي بعضها بعضا لتمام المعنى والاحسان فيه، ويتضح من الفنون التي اوردها الحاتمي ضمن البديع الاستعارة والتشبيه، ويبدو أن فنون البيان والبديع لازالت متداخلة فيما بينها حتى عصر الحاتمي.

ونلتقي بالناقد والاديب أبي هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت395هـ) في كتابه (كتاب الصناعتين الكتابة والشعر) وقد خصص الباب (التاسع) منه للبديع وجعله في خمسة وثلاثين فصلا وهي(الاستعارة والمجاز، والطباق، والجناس، والمقابلة، وصحة التقسيم، صحة التفسير، والاشارة، والأرداف والتوابع، المماثلة، والغلو والمبالغة، العكس والتبديل، والتذييل، والترصيع، والايغال، الكناية والتعريض والترشيح، ورد الاعجاز على الصدور، الالتفات، والاعتراض، والرجوع، التكميل والتتميم وتجاهل العارف، والاستطراد، وجمع المؤتلف والمختلف، والسلب والايجاب، والاستثناء، والمذهب الكلامي، والتشطير والمحاورة، والاستشهاد والاحتجاج، والتعطف والمضاعف والتطريز والتلطف) ونجد أن العسكري قد انفرد عن سابقيه –بحسب قوله في كتابه- بستة أنواع من البديع (التشطير، والمحاورة، والتطريز والمضاعف والاستشهاد والتلطف)

الخاتمة:

القول إن علم البديع يعنى بدراسة جماليات ومحسنات الكلام مع مراعاة مقتضى الحال ووضوح الدلالة والبعد عن الغموض والتكلف، وأنه عُرف قديما عند الشعراء فضلا عن القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة، إلا أن المحدثين أُصيبوا بشغف البديع فكثر في أشعارهم، كما أن الدراسات النقدية في ميدان علم البديع مستمرة في النقد العربي القديم وقد استدعى المقام إلى التوقف لغاية القرن الخامس الهجري؛ والحديث يطول مع جهود نقادنا وكثرة تقسيماتهم وتفريعاتهم لعلم البديع مع نهاية القرن الرابع الهجري وصولا الى قرون متأخرة في الدراسات النقدية، وذلك نتيجة لتوجه الشعراء نحو الصنعة وزخرفة الكلام وما احتلته الصنعة من منزلة كبيرة؛ ولما كانت الدراسات النقدية والبلاغية ملازمة للأدب، فقد توسع النقاد

والبلاغيون في هذا العلم واطلقوا العنان لخلق المصطلحات التي تنضوي تحت نطاق محسنات البديع حتى وصلت الى ما يزيد عن المائة محسن بديعي، فأوقعت الدراسات البلاغية في حالة من الجمود.

قائمة المصادروالمراجع

- **القرآن الكريم**

1. البيان والتبين، أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر، مصر- القاهرة، ط7، 1998م.
2. حلية المحاضرة في صناعة الشعر، لأبي علي محمد بن الحسن بن المظفر الحاتمي، تحقيق: جعفر الكناني، دار الرشيد للنشر، العراق،1979م
3. ديوان امرئ القيس، تحقيق : محمد أبو الفضل ابراهيم، دار المعارف، مصر، ط4.
4. ديوان زهير بن أبي سلمى، شرحه وقدم له: علي حسن فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط1، 1988م
5. علم البديع، عبد العزيز عتيق، دار النهضة العربية، بيروت-لبنان، د.ت.
6. كتاب البديع، أبو العباس عبد الله بن المعتز(ت296هـ)، شرح وتحقيق: عرفان مطرجي، مؤسسة الكتاب الثقافية للطباعة والنشر، ط1، 2012م.
7. كتاب الصناعتين الكتابة والشعر، لأبي هلال الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري، تحقيق: علي محمد البجاوي ومحمد ابو الفضل ابراهيم، دار احياء الكتب العلمية، سوريا، ط1، 1952م
8. لسان العرب، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور، دار صادر، بيروت- لبنان، د.ت
9. نقد الشعر، قدامة بن جعفر، تحقيق: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، د.ت.

Review Article

Embellishments in the light of ancient Arabic criticism

Assist Lect. Marwah Ahmed Shakir

College Of Education Ibn Rushd

University of Baghdad

marwa.ahmed1203a@ircoedu.uobaghdad.edu.iq

Keywords: embellishments, improvers of speech, ancient Arabic criticism

Summary:

The science of embellishments means the study of the beauties and refinements of speech, taking into account the exigency of the situation, clarity of meaning, and avoidance of ambiguity. The end of beauty and quality is when it comes freely from the mind without artificiality or affectation. It received the attention of ancient Arab critics, beginning with Al-Jahidh and ending with later centuries of critical studies. Ancient Arab critics agree that embellishments was known in ancient times among poets, and in the Holy Qur'an and the noble Prophetic speech, but the moderns were passionate about embellishments and it became abundant in their poetry until it was attributed to them. In the beginning, critics mentioned some of the arts of rhetoric, such as metaphor and metonymy with embellishments. This is due to the fact that the sciences of rhetoric (eloquence, semantics, and embellishments) had not yet been divided and that the boundaries between them had not been made clear as was the case in critical studies after the fourth century AH. The researcher stopped until the fifth century AH, which is what the place allows. This is because the discussion goes on for a long time with the efforts of our ancient Arab critics and their many divisions and branches of embellishments knowledge, due to the poets' orientation towards craftsmanship and the ornamentation of speech until embellishments divisions exceeded one hundred improved and wonderful ones.